السرد والزمن في نقد سعيد يقطين

Narration and time in the criticism of Said Yaktine

1 أ. بوزيد عبد العزيز*

جامعة الجيلالي اليابس . سيدي بلعباس، (الجزائر)، bouzidabdelaziz29@gmail.com

2 أ.د رفـاس سميرة

جامعة الجيلالي اليابس . سيدي بلعباس، (الجزائر)، samira.reffes@univ-sba.dz

تاريخ الارسال2023-08-14 .تاريخ القبول 2024-05-28 تاريخ النشر 2024-06-01

ملخص:

تتوخى هذه الدراسة قراءة متواضعة للمنجز النقدي للناقد المغربي سعيد يقطين من خلال مفهومي السرد والزمن وكيف تناولهما هذا الناقد في مساره النقدي الذي يقارب أن ينهي عقده الرابع ،منذ أول كتاب أصدره تحت عنوان (القراءة والتجربة) إلى أخر ما أنتج من مقالات ودراسات ومداخلات حديثة ،والتي ظلّ خلالها وفيا لحدود المشروع النقدي الذي رسمه وتبنّاه ،حين اختار الأجناس السردية ميدانا يشتغل عليه بداية بالرواية ليوسعه ليشمل أنواع السرد العربي جميعها بخاصة القديمة منه ،ويحدد العلاقات المعنوية بينها. ليفتح مجالا لكلّ الدارسين للمتون الحكائية أن يسلكوا مسلكا واضح المعالم من ناحية المفاهيم والمصطلحات وحتى الآليات التي من شانها أن تساعد على المقاربة النقدية. فحدّد وضبط مفهوم السرد ،والسردية ،والزمن تنظيرا ،وتطبيقا . وهو ما تسعى هذه الدراسة التطرق له لتبيّن النجاعة النقدية لهذه المفاهيم في أعمال سعيد يقطين من جهة ،وفي الساحة النقدية المغاربية والعربية من جهة أخرى ،وتتتبع أيضا التطور الذي مرت به هذه المصطلحات في خضم مسار نقدي غزير ومتنوع وما هي الإضافة التي أمدتها للفكر النقدي بشكل عام.

الكلمات المفتاحية: النقد الروائي،السرد، الزمن، الفكر النقدي، التداخل، ...

Abstract:

This study aims to read the critical achievement of "Said Yaqtin" Through the concepts of narrative and time And how did this critic deal with them in his path?

From the first book he issued under the title (Reading and Experience) to the latest produced articles, studies and recent interventions, during which he remained faithful to the limits of the critical project that he drew and adopted, when he chose the narrative genres as a field he works on starting with the novel to expand it to include all types of Arabic narration, especial-ly the old ones. It defines the moral relations between them.

To open an opportunity for all students of the narrative texts to take a clear path in terms of concepts, terminology, and even mechanisms that would help in the critical approach. He de-fined and controlled the concept of narration, narration, and time in theory and application. This is what this study seeks to address in order to show the critical efficacy of these concepts in the works of Said Yaqtin on the one hand, and in the Maghreb and Arab monetary arena on the other hand, and it also traces the development that these terms have undergone in the midst of a prolific and varied critical path, and what is the addition they have provided to critical thought in a way general.

Keywords: Novel criticism, narration, time, monetary orientation, overlap… .....

1. مقدمة:

أخذت الرواية تتصدّر المشهد الأدبي العربي ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر ،حيث انصبّ اهتمام المبدعين آنذاك على الأجناس السردية بمختلف أنواعها ،أقصوصة وقصة ،ورواية ،ومسرحية محاولين التجريب من جهة وتجديد أساليب التعبير الأدبي من جهة أخرى ،حتى يواكب إنتاجهم الإبداعي تطورات الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية التي بدأت تتعقد وتتداخل أكثر فأكثر. وكان لزاما أن تظهر حركة نقدية موازية لهذه الحركة الإبداعية بهدف تقويمها وتوجيهها ،ومساعدتها على التبلور والنّضج ،وهذا ما دفع ببعض النقاد إلى الاشتغال على النصوص السردية عامة والروائية خاصة مؤسسين لمنظومة نقدية تحفل بأدوات وإجراءات تسمح بمساءلة هذه النصوص والوقوف على مكوناتها اللغوية، والجمالية ،والفكرية ،فظهرت في الساحة النقدية عدة أسماء حملت على عاتقها هذه الممارسة في مختلف البلاد العربية مشرقا ومغربا ،إلاّ أنّ نقاد المغرب العربي تقدموا على نظرائهم في المشرق لأسباب تاريخية وثقافية كقرب منطقة المغرب العربي من أوروبا وإتقان الأدباء اللغة الفرنسية التي سمحت لهم الاطلاع على المنجز النقدي الفرنسي كأعمال كريستيفا ،وبارث ،وغريماص، وتدروف وغيرهم من النقاد الحداثيين. ومن بين هؤلاء الناقد المغربي "سعيد يقطين" الذي أشرف على مشروع نقدي حاول من خلاله استثمار السرديات العربية قديمها وحديثها منظّرا ومطبّقا .

ومن العناصر الفنية المشكلة لهذا الجنس الأدبي والتي اهتمّ بها هذا الناقد عنصرا السرد والزمن في منجزه النقدي وخاصة في كتابه "تحليل الخطاب الروائي" ،فكيف تعامل هذا الناقد مع هذين المصطلحين النقديين الروائيين في منجزه النقدي ؟ وماذا أضاف من خلالهما للسرد والنقد العربيين؟

1. السرد في المنهج النقدي عند سعيد يقطين:

إنّ الحديث عن مفهوم السرد في نقد سعيد يقطين ،يقودنا حتما إلى الحديث عن الأسس النقدية التي أقام عليها هذا الناقد مشروعه ومنهجه الذي بدأه في أواسط ثمانينيات القرن الماضي حين اصدر كتابه الأول "القراءة والتجربة" سنة 1985 ،حيث اختار النصوص السردية بدل الشعرية ليشتغل عليها ،إيمانا منه بان الوقت قد حان الاقتحام هذا المجال الإبداعي أولا ،وثانيا ليؤسس لمنظومة نقدية واضحة الأهداف ،والأسئلة ،والرؤى ،وتهتم

بالسرد كنظام أدبي له سننه وبالسرديات كجهاز اصطلاحي نقدي يوفر الأدوات التي تسمح بمساءلة النصوص السردية مساءلة فعالة تتماشى مع متطلبات التحديث والتجديد.

هذا التخصص الذي ميّز المسار النقدي لسعيد يقطين ،حين اختار الرواية كتجربة إبداعية يمارس عليها قراءته النقدية انطلاقا من أدوات واليات جديدة وفرتها آنذاك المناهج الحداثية التي بدأت تتعامل مع النص الأدبي بمعزل عن السياقات المحيطة به ،وخاصة البنيوية التي هيمنت على التجارب النقدية التي بدأ يمارسها نقاد شباب هنا وهناك. كلّ ذلك شجّع يقطين ودفعه إلى تحديث الفعل النقدي الذي كان يراه يفتقر لرؤية تسمح بالمواصلة بدل القطيعة كما كان رائجا ومعجبا بالكيفية التي تميز النقد في بلاد الغرب حيث ذكر ذلك في كتابه الأول قائلا: "إنّ الفكر الأدبي الغربي مبني على الاستمرار والتحول .أما عندنا فهو مبني على القطيعة والإلغاء والبدء من جديد"[1] .وكل ذلك كان وراء خلفية تأليف هذا الكتاب الذي أعلن من خلاله تأسيس تخصص يهتم ويركز على السرد بكل أنواعه ألا وهو السرديات narratologie ويوظف كل الآليات الممكنة التي أتاحتها مناهج النقد الأدبي المعاصر. وهذا ما سنعمل على توضيحه في هذه الدراسة.

هذه التحديات والرهنات بلورت الوعي النقدي الذي كان يحمله سعيد يقطين وعمل على طرحه في الساحة النقدية ،وأتبعه بعديد الأعمال النقدية التي أثرى بها المكتبة العربية ،حيث اعتبره صديق دربه الناقد سعيد بن كراد " شاهدا على سلسلة من التحولات الجذرية التي امتدّت إلى كلّ المعايير والإبدالات التي كانت تحتكم إليها النخبة المثقفة من اجل تقويم المنتوج الثقافي في كل المجالات المعرفية"[2](2) وكانت الرواية هي الهدف لممارسة التجربة النقدية في مشروعه النقدي. فلماذا هذا الاختيار على عكس ما كان سائدا لدي جملة من النقاد المعاصرين له ،والذين توجه اهتمامهم إلى الشعر ؟

1 .1 الرواية والنقد الروائي:

بدأت الرواية تتربع على عرش الإبداع الفني الأدبي وأوغلت في تناول المشكلات المعقدة التي يعيشها الإنسان المعاصر كالقضايا السياسية ،والاجتماعية ،والثقافية .فالرواية أصبحت تستهدف مواضيع مرتبطة بتصور مختلف لتركيبة المجتمع المعاصر في ضوء التفتح الإعلامي والتقني الكبيرين اللذين جعلا الكون قرية واحدة فتقلصت المسافات بين الأفكار والرؤى " ولا شك أن ما بوأ نظرية الرواية هذه المكانة الخاصة ،هو توافق صعود الرواية وتبلورها مع جملة تحولات مجتمعية وفكرية وعلمية " [3](3) وهذه التحولات هيأت البيئة الملائمة لهيمنة الرواية حتى

أصبحت تشغل الساحة الإبداعية الأدبية في العالم كلّه ،وهو ما شكلّ حركة نقدية موازية لهذا التحوّل تهتم بالرواية وبكل الأجناس السردية المعاصرة لها متطرقين لمشكّلاتها الفنية وبخاصة السرد.

ولما كانت الرواية عمل سردي خالص، وكان السرد هو الطريقة التي يؤدى بواسطتها المبدع إنتاجه الروائي فما هي وظائف السرد في صيرورة هذا الإنتاج ونضجه ؟ وكيف يتعامل معه النقاد في ممارساتهم النقدية باعتباره المفتاح المهيمن على جنس الرواية ؟ وما موقع سعيد يقطين من ذلك ؟

1 .2 . مفهوم السرد في النقد الروائي:

كثيرا ما يتداخل مصطلح السرد مع مصطلحات أخرى يصعب على المتلقي الفصل بينها إن لم يكن متمرسا ومتخصصا ،ومن هذه المصطلحات ، الحكاية ،والسرد ، والخطاب ،لذلك سنحاول تقريب مفهوم السرد وما نفرق به بينه وبين باقي المصطلحات .وسنعتمد على المنجز النقدي لسعيد يقطين لأنه مافتئ يشتغل على تحديد حقل مصطلحي يحدد بدقة الأدوات الإجرائية التي تمارس بواسطتها قراءة ومساءلة النصوص الروائية ومقاربتها مقاربة مرنة تحقق أهداف الدراسة المرجوة.

يرى الدكتور سعيد يقطين أن السرد ليس هو السردية وليس هو الخطاب ،إنما هو الطريقة التي يتم وفقها تسلسل الأحداث داخل المتون الحكائية حيث وضّح في عديد من المؤلفات والمقالات والمداخلات أن " السرد فعل لا حدود له ، يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية ، يبدعه الإنسان أينما وجد وحيث ما كان" [4]. و هذا ما جعله لم يكتف بممارسة القراءة الناقدة على الرواية فقط ،بل تجاوز ذلك إلى تأسيس إعلان مشروع نقدي يؤصل للسرد العربي ،داعيا إلى وعي جديد للتعامل معه وقد ألف سعيد يقطين عدة مؤلفات في هذا المجال ،حيث يعدّ كتبه: الكلام والخبر وقال الراوي.

1 . 3 . انفتاح الرواية على الأنظمة السردية التراثية:

في خضم اهتمامه بالبحث في السرديات وما يرتبط من مفاهيم ومصطلحات ،وقف الدكتور سعيد يقطين على أن الرواية العربية تنتسب إلى الرواية الغربية في العصر الحديث من حيث النضج الفني ،لكنها لم تبرح طبيعة وأساليب السرد العربي الأصيل ،وأنّ كتّاب الرواية انتبهوا إلى الكنوز السردية العربية القديمة وما تحمله من زخم فني

وفكري فقاموا باستحضارها ،واستثمارها ،وربط علاقات معها. وقد تزامن ذلك مع ظهور مصطلح التناص intertextualité[5] وتبلوره كنظرية نقدية تعني تفاعل النصوص الإبداعية مع نصوص وسياقات أخرى بصورة ضمنية أو ظاهرة وفق قدرة المبدع على توظيفها في ما ينجز من أعمال روائية .وهو الشيء الذي فهمه سعيد يقطين انطلاقا من قراءاته الكثيرة والعميقة للمنجز الروائي العربي ،حيث ذهب إلى أنّ الرواية العربية ظلت متصلة بالمكونات السردية العربية القديمة، وقد أخذ هذا الاتصال شكلين يقومان على ما يلي:[6]

ـ الانطلاق من نوع سردي قديم كشكل ،واعتماده منطلقا لإنجاز مادة روائية ،فنجد بنيات نصية سردية قديمة في النصوص الروائية العربية في شكل نفاعلات تاريخية، أو دينية ، سردية، متضمنة في الرواية .

ـ الانطلاق من نص سردي قديم محدّد الكاتب و الهوية، و عبر الحوار، أو التفاعل النصي معه، مع التركيز على إنتاج دلالة جديدة.[7]

وقد اختار أربع نماذج روائية ليطبق عليها ما يسعى الوصول إليه، و هذه النماذج هي : الزيني بركات لجمال الغيطاني، وليالي ألف ليلة وليلة لنجيب محفوظ ،ونوار اللوز للأعرج واسيني ،وليون الإفريقي لأمين معلوف ويقابلها من النصوص السردية القديمة على الترتيب : "بدائع الزهور" لابن إياس، و"ألف ليلة وليلة" بدون مؤلف و"تغريبة بني هلال" بدون تاريخ و مؤلف، و وصف إفريقيا للحسن الوزان، و هذا البحث في الحقيقة بشير إلى أن الرواية العربية لم تستغن ـ كما يريد أن يروَّج من قبل بعض النقاد ـ عن أصالة السرد القديم ،وحاولت أن تستقطبه وتستدعيه ،وتعبر من خلاله عن جذورها الأصيلة من جهة وكذلك عن الانفتاح عن الأنظمة السردية التي بإمكانها إعطاء دفعة قوية للرواية لتواكب رهانات التعبير والتفكير الإنساني.

وبهذا يكون سعيد يقطين قد عبّر عن وعي نقدي ،ينطلق من ممارسة نقدية تهدف إلى مقاربة النصوص الروائية بعمق ،لاكتشاف جميع المكونات الفكرية والشكلية التي تبني الرواية وجودها الأدبي عليها ،ومن ذلك العلاقة التجنيسية مع النصوص التراثية الشفهية والمكتوبة ،الرسمي منها والهامشي ،مستثمرا ما أنجزه "جيرار جنيت" G.GENETTE حول المتعاليات النصية وتطبيقها على نماذج روائية عربية تشبّع أصحابها بمناهل التراث السردي

العربي ،وقاموا بتوظيفه توظيفا تناصيا ،ليعبروا عن قضايا سياسية ،وثقافية ،واجتماعية هامة في واقع الشعوب العربية.

وقد قدّم سعيد يقطين قراءة ناقدة لهذا النسيج الفني كتاب "الراية والتراث السردي" بعد أن دعّمه بكتاب "ذخيرة العجائب العربية" ليبّن الكيفية التي تم بواسطتها حضور التراث السردي في المتون الروائية المعاصرة ،وفق مبدأ التعالق النصي ،الذي يطمح إلى عمل روائي منفتح على ماضيه المتمثل في زخم التراث وحاضره الراهن المركب من قضايا متشعبة ومعقدة تبحث عن حلول ورؤى جديدة. وهذه القراءة " لا تعد مزايدة أيديولوجية أو ترف فكري ،بل مدعاة لتشكيل وعي جديد بالمقومات الذاتية للأمة العربية"[8] أين أراد سعيد يقطين من خلالها التأسيس لنقد روائي جاد لا يقيم قطيعة مع التراث ،ولا مع أشكال السرد الحديثة ،وينظر إلى هذا التفاعل على أنه ضرورة إبداعية في ضوء ما قدمته نظرية التناص التي تعتبر النصوص الجديدة هي امتداد لنصوص أخرى متزامنة معها أسابقة لها فترى جوليا كريستيفا J. KRESTIVA وهي أول من أشار إلى هذا المصطلح الذي أعلن انفتاح النص على سياقات ومرجعيات غير محدودة و أن النص الأدبي هو تشرب وتحويل لنصوص سابقة وهو فسيفساء من الاقتباسات ،وكلّ ذلك مهد له بعدة مؤلفات حول أساليب السرد العربي القديم هي : الكلام والخبر ،وقال الراوي ،والسرد العربي المفاهيم والتجليات ،والتي حاول من خلالها بناء نظرية سردية عربية تحمل جميع الجينات الأصيلة ومن خلالها جهاز مفاهيمي يناسب مقاسها.

1 . 4 . الزمن في النظام السردي:

يرى سعيد يقطين أن " مقولة الزمن متعدد المجالات ويعطيها كل مجال دلالة خاصة ،ويتناولها بأدواته التي يصوغها في حقله الفكري والنظري"[9] ،فالزمن بهذه النظرة يختلف من حقل معرفي إلى حقل معرفي آخر ،وهذا ما يدفع بالناقد في الرواية إلى التعامل مع الزمن تعاملا فنيا باعتباره عنصرا خاضعا للمتخيل السردي ،إلاّ أن هذا لا يمنع من الاستفادة مما أنتجته الحقول المعرفية الأخرى حول الزمن مثل ما فعل اللّسانيون حين استفادوا من النظرة الفيزيائية للزمن وهو ما أكده سعيد يقطين قائلا: " فلقد كان تحليل الزمن في اللغة أسير المطابقة الفيزيائية".[10]

والزمن من أكثر الأشياء التي أثارت جدل الفلاسفة والمفكرين عبر العصور المتتالية ،لأنها مرتبطة بوجود الإنسان ،فتضاربت آراؤهم كلّ حسب نظرته ،ومرجعيته الفكرية ،والدينية ،لكن الذي يهمنا في هذا البحث هو الزمن الروائي. كيف وظّفة الروائيون ؟ ،وكيف تعامل معه النقاد ؟

يقول الناقد إبراهيم خليل " يحدد الزمن طبيعة الرواية ،مثلما يحدد شكلها الفني إلى حدّ بعيد ،ذلك لأنّ السرد مرتبط ارتباطا وثيقا بطرائق الكاتب في معالجته ،وتوظيفه لعامل الزمن"[11] وهذا التصدّر بوأه مكانة أساسية في عملية نقد الرواية وهو ما جعل سعيد يقطين يفرد له جزءا كبيرا من كتابه الثاني " تحليل الخطاب الروائي" حيث اعتبره من المكونات الأساسية في العمل الروائي فنظر له تنظيرا يليق بهذه المكانة ،ليسهل على النقاد إجراء مقارباتهم بوعي وبنجاعة.

انطلق سعيد يقطين من سؤال جدلي حول الزمن للقديس أوغسطين AUGUOSTIN يقول فيه أنه يعرف الزمن لكن إذا سأله أحد عنه يتبدد منه الجواب فيتحول إلى جاهل به.

هذا السؤال الجدلي يبين أن الزمن مثير للغموض والإبهام ،والقبض عليه ضرب من الخيال أو المستحيل ،وهذا ما أعطى له صفة هلامية حتى داخل المتون الروائية بم يكتسب من انكسارات والتواءات تحددها طرائق السرد ،ورؤى السارد وحتى المتلقي باعتباره مشاركا في إنتاج دلالات ما يقرأ من نصوص.وأن " الجدل بين التقليديين والتجريبيين في الرواية الحديثة هو إلى حدّ ما ،جدل حول الزمن" [12] ويزداد هذا الجدل عمقا وتتسع هوته إذا علمنا أنّ له أبعادا فنية ،وثقافية ،ونفسية وفكرية وعقائدية مترسبة في خلايا المتن الروائي.

2 ـ مفهوم الزمن الروائي وأنواعه في نقد سعيد يقطين:

لقد تتبع سعيد يقطين مفهوم الزمن في عدة حقول معرفية ،إلا أن المقام لا يسمح بذكر التفاصيل التي توصل إليها لذلك سنركز على ما يخدم أهداف البحث ،حيث سنهتمّ بالمفاهيم التي تتعلق بالنقد الروائي.

1.2 الزمن اللغوي: تطور هذا المفهوم في ظل تبلور النظرية اللسانية التي أسسها دسوسير ،الذي اعتبر اللغة تتأثر بحركة الزمن والأفعال الإنسانية مرتبطة بهذه الحركة ،ولذلك أيضا قام اللّغوي جون ليونس LYONS إلى نقد تقسيم الزمن إلى ماض وحاضر ومستقبل من قبل النحويين القدماء في اللّغة اللاتينية ويرى أن هذا التقسيم غير دقيق لأن الزمن لا يوجد في كلّ اللغات ،وأن هذه التقابلات ليست زمنية محضة وقد تم ذلك تحت تأثير الاعتقاد بانعكاس الزمن الطبيعي على الزمن النحوي اللغوي. لان جريان الزمن لا يمكن القبض عليه ،فما هو حاضر قد يصبح ماضيا ،وما هو مستقبل يصبح حاضرا قابلا للماضوية وهكذا.

2.2ـ الزمن الروائي: الزمن الروائي ليس زمنا كرونولوجيا يقوم على مبدأ الخطية والتدفق المستمر للأمام ،بل زمن مرن منكسر يتحرك إلى الماضي ليعود للحاضر وقد يقفز للمستقبل أو يتوقف أحيانا للحديث مع الذات الساردة

" فإذا كان التصور التقليدي يرى أنّ الزمن هو الشخصية الرئيسية في الرواية ،ففي الرواية الجديدة يمكن القول أنّ الزمن مقطوع عن زمنيته"[13] وبالتالي أضحى الحديث عن الزمن الروائي يأخذ منحىً يستحق الاهتمام لفهم أبعاده ودلالاته وتفسيرها تفسيرا عميقا وباستعمال كافة الأدوات النقدية الممكنة التي هيئتها النظريات النقدية الحديثة والمقاربات المحايثة للثورة المعرفية في القرنين الماضيين.

3 . أنواع الزمن في الخطاب الروائي:

تحدث سعيد يقطين في كتابه تحليل الخطاب الروائي عن خاصية الزمن ،وخصص لها باب كبيرا ،حاول من خلاله تقريب مفهوم هذا المكون الروائي للقارئ العربي بغرض الوقوف على أبعاده الدلالية والشكلية داخل الرواية مستفيدا بأعمال جيرار جينيتG.JENETTE وميشال بوتورM. BETOR وجان ريكاردو J. RECARDO وإيميل بنفنيستI.BENVINIS ...وغيرهم من رواد النقد الأدبي الأوروبي الذين تأثر بآرائهم في هذا المجال. وبناء على ذلك خلص سعيد يقطين إلى أن الزمن في الرواية ينقسم إلى عدة أقسام : قسم مرتبط بالروائي ،وقسم مرتبط بالرواية ،وقسم مرتبط بالحكاية ،وقسم مرتبط بالراوي ،وقسم مرتبط بالقارئ فخصص جزء من بحثه الأول لزمن القصة ،وزمن الحكاية ،وزمن الخطاب وأرجأ الحديث عن باقي الأزمنة إلى الجزء الثاني في كتاب " انفتاح النص الروائي"

3 .1 زمن القصة :

زمن القصة زمن خطي كرونولوجي ،يسير مع أحداثها سيرا مباشرا ،تتجلى في توالي الأيام والشهور والسنوات التي تستغرقها القصة وتكون الشخصيات مدركة لأفعالها أثناءها.

3 .2 . زمن الخطاب :

وهو زمن منكسر مرن يصنعه التخييل فلا شيء يتحكم فيه لأنه يخضع لعملية السرد التي تقتضي الاستباق أحيانا ،وتحتاج الرجوع إلى الماضي أحيانا أخرى ،وقد يتوقف للتأمل زيادة على ذلك قد نجده سريعا مناسبا لحيثيات المواقف الحكائية أو الاستبطاء إذا اقتضت الحاجة لذلك ،وعلى كلّ حال فإن الزمن بهذه الرؤية صادر من عمق التجارب الإنسانية التي تتداخل فيها الكثير من الأشياء التي يحاول الروائيون تمثلها في أعمالهم ويحاول النقاد الوقوف عليها لتطوير المنظومة النقدية وجعلها مواكبة لكل التطورات المحتملة.ومن النقاد الذين اشتغلوا على هذا المؤشر السردي الناقد سعيد يقطين في كتابه "تحليل الخطاب الروائي" أين افرد جزءا هاما منه لمفهوم الزمن الروائي

بكلّ أنواعه وتمظهراته الفنية مستثمرا الجهود النقدية لنقاد المدرسة الفرنسية ،بارث وجينيت ،وتدوروف ثم طبق ما أمكن من إجراءات نظرية حول الزمن على مجموعة من الروايات العربية كرواية "الزيني بركات" لجمال الغيطاني ،وألف ليلى وليلة

3 . 3 . زمن القراءة:

وهو زمن متجدد يتجدد قراء النص ،حيث لكل قارئ زمنه الذي يرهّن من خلاله تمظهرات الزمن داخل الرواية وفق تصوراته وثقافته وميولاته النفسية " وهو زمن مرتبط بالتلفظ وان كان حضوره في النص أقل بروزا من الزمنين السابقين لان تمثيل هذا الزمن ضروري ليصبح النص مقروءً " [14] لأنه ببساطة مرتبط بوعي وإدراك المتلقي للنص الروائي.

4 .آليات توظيف الزمن في الخطاب الروائي:

في كتابه تحليل الخطاب الروائي ركز سعيد يقطين على تحديد الآليات التي يُوظَّف بها الزمن في الخطابات الروائية وقد تبنى في ذلك ما ذهب إليه النتائج التي توصل إليها جيرار جينيت G.JENETTE في هذا المجال في العديد من أعماله وبخاصة كتاب خطاب الحكاية والذي أشار في إلى أن الزمن في الرواية يخضع لخاصية الانكسار والمرونة الفنية التي تخرجه عن الخطية الذي هو عليها في القصة لأنه خاضع لقوة المعنى التخييلي " الذي يتعارض مع مقتضيات العقول ويخل بنظام الطبيعة ويخرق السير العادي للأشياء " [15] وفق التقنيات السردية التالية:

ـ الاسترجاع: وهي تقنية يخترق بواسطتها السادر المسار الخطي الطبيعي للزمن ،ليعود به المخيال إلى الماضي مستحضرا أحداثه الغابرة عن طريق التذكر وإعطائها بعدا فنيا يناسب مقتضيات العمل الفني في المتن الروائي ،أين يفتح للمتلقي قارئا كان أم سامعا آفاقا سردية للعودة والتجول في ما مضى من الزمن حين يلفّ عليه نسيج التخييل والتذكر الاسترجاعي ،ويحجز له مقعدا في قطار الذاكرة للعودة إلى الماضي القريب أو السحيق. وهذه الخاصية لا يتيحها سوى السرد ولا يمتلكها سوى السارد.

ـ الاستشراف: وهو خرق للزمن أيضا لكنه يتوجه إلى الأمام لاستكشاف القادم والأتي من المستقبل ،وهو أقرب ما يكون حلما أو طموحا أو أمنية تراود أبطال الرواية ،فيستغلها المبدع ليزور من خلالها ذلك المجهول ،والمبهم ،والغامض حين يسافر في كبسولة القوة السردية متحديا طبيعة صيرورة الزمن العادي ،ليرسم ملامح زمن آخر من صنع الخيال يكون أكثر انسجاما مع ما يحمل من آمال وطموحات ورغبات ،وأحيانا حتى مكبوتات. وهاتان

الخاصيتان السرديتان اهتم بهما سعيد يقطين من أول عمل نقدي له حين ذكر أنّ " اللامنطق هو الذي يتحكم في بنية الزمن من خلال التداخل ،والاسترجاع ،والاستذكار ،حيث تتداخل الأزمنة والأمكنة لتسهم جميعا في تكسير عمودية السرد " [16] ولا يتم ذلك بعشوائية ،وإنما يخضعه الروائي للمرونة الفنية التي تسمح له بالتحرك داخل المتن الروائي دون الإخلال بانتظام نمط السرد وخصائصه الفنية التي يبنى عليها " وأن السرد ،بدوره يكون ذا معنى مادام يصور ملامح التجربة الزمانية"[17] وهو ما يجعل من الزمن محورا أساسيا في السرد.

ـ **التوقف**:ويمثلها لحظات الرجوع إلى الواقع ،والتوقف بمحطات للتأمل ،أو مراجعة الذات ،أو فتح صفحة جديدة لبداية أحداث حياة سردية أخرى ،وهنا يكون الزمن قد استقر مع الحالة النفسية للشخصية الموظفة والمجسّدة لأفكار الروائي طبعا ،وهي لحظة لأخذ نفس والمضي في نسج أحداث القصة من جديد.

ـ **الإبطاء والإسراع**: وهي من التقنيات التي يستعملها الروائي من أجل التحكم في عملية السرد ،وفق ما يناسب الشخصيات المؤطرة له ،ومراعاة الخصائص المعنوية والنفسية والفكرية التي تتجسد في وجودها السردي ،وعليه فالروائي يسرع زمن القصة أحيانا ويبطئه أحيانا أخرى.وقد ظهر ذلك بشكل جلي في رواية تيار الوعي "التي شكلت فيها الديمومة الزمنية ركيزة محورية"[18] ،وقد ارتبطت هذه الديمومة الزمنية بالجانب النفسي الذي أصبح من أهم المؤشرات النصية التي يركز عليها النقاد أثناء مقاربتهم النقدية ،كما أنّ عملية الإبطاء والإسراع في العمل السردي له علاقة بتفاعل الشخصيات مع طبيعة الأحداث ،فإذا اتسمت الأحداث بالحدة والشدة يشوبها نوع من التسارع وهذا ما يؤثر على وتيرة وإيقاع الزمن على مستوى السرد ،فيشعر القارئ بقوة سريعة تدفعه للاطلاع على قادم الأحداث.

5 . التداخل بين السرد الزمن:

إنّ الحديث عن التداخل بين الزمن والسرد ،هو في حقيقة الأمر حديث عن الارتباط الوثيق بين الزمن كوعاء تصب فيه أحداث الفعل السردي وبين السرد كبناء حكائي منظم ومحبوك ،حيث يستحيل أن نسرد خارج أنظمة زمنية تؤطر هذا عملية السرد وهذا الزمن يأخذ ازدواجية زمن القصّ وزمن الشيء الذي يقصّ عنه القصّ ،أي أن الزمن الأول موافق لعملية السرد والزمن الثاني يعبر عن المادة الحكائية ذاتها.

فالزمن الأول مرتبط بالمدة la durée التي يستغرقها النص السردي ،سواء كان مكتوبا أو قولا ملفوظا وهذا ما يسميه سعيد يقطين "زمن القصة" وهو زمن خطي لا انكسار ،ولا التواء يعتريه ،والزمن الثاني هو زمن

لولبي ،متقطع لا يأخذ مسارا واحدا، بل مسارات متعددة توهم القارئ أنه يجول عبر النص السردي دون قيود زمنية توقف شغفه القرائي.

والسرد والزمن وجهان لعملة واحدة ،فكل واحد يعاضد الآخر ويجانسه ،لأننا لا نتصور سرد خارج الزمن ولا نفهم الزمن فهما صحيحا إلا داخل عملية السرد ،فالزمن خارج الحكي يبقى لحظات متتابعة وتواريخ تُسجَّل على دفاتر الوجود ،وفق مبدأ التعاقب الذي يشعرنا بأن الزمن يتحرك إلى الأمام فقط ،وأن توقفه أو رجوعه مستحيل لكن ذلك المستحيل سرعان ما يتبدد حين نقرأ قصة ،أو نسمع حكاية حيث نجد أن ذلك الاعتقاد السابق تكسر وأصبح ممكنا ،فنصادف زمنا مرنا يأخذنا في كل الوجهات والاتجاهات ،تارة إلى المستقبل وتارة يعود بنا إلى الماضي ،وقد يكون هذا الماضي بعيدا عن عصرنا ،لكنّ الروائي يرافقنا في جولة ماتعة غير آبهة باللحظة المستقيمة المقيدة بالسير قدما دون الالتفات إلى الوراء.

وقد أكّد سعيد يقطين على هذه العلاقة وقال:"إن العلاقة جدلية بينهما ،يظهر المتن الحكائي كمجموعة من الحوافز المتتابعة بحسب السبب والنتيجة " [19]وهذا يعني أن كلّ شيء في الرواية زمني في أصله فلا وجود لحكي دون زمن ،فالشخصيات يجلي الزمن وجودها السردي ،والأحداث زمن يتوالى ويتعاقب مشكلا إياها وهذا كلّه يجسد علاقة التداخل بين السرد والزمن " وانطلاقا من نوعية هذه العلاقة ،يمكن للكاتب أن يقدم لنا أشكالا متعددة للتجلي الزمني كما يظهر من خلال المبنى الحكائي"[20] وبالتالي فإن الروائي الذكي هو من يعرف كيف يوظّف الزمن ويوزعه على باقي عناصر الرواية توزيعا فنيا يغذي العلاقة التخييلية بين الزمن والسرد.

وأخيرا إنّ المشروع النقدي لسعيد يقطين مشروع تطور وبلغ درجة كبيرة من النضج ،لأنه طبخه على نار هادئة ،وأعطاه كلّ الأبعاد التي تسمح له بالاستمرار والاستقرار والتميز. زيادة على ذلك أنه اختار المجال الحيوي المناسب للممارسة النقدية وهو الأعمال الروائية والأجناس السردية بدلا من الشعر والشعرية ،وقد أفاده ذلك الاختيار والتخصص كثيرا لعدة اعتبارات:

أ . لأنه اختار الرواية ،وهي النوع الذي يهيمن على الساحة الإبداعية في هذا العصر

ب . الاطلاع على المنجز النقدي الغربي وبخاصة ما أنتجته المدرسة الفرنسية بحكم وقد ساعده عامل اللغة.

ج . الاطلاع على الكافي على التراث السردي العربي.

د . الزاد القرائي للمتون الروائية العربية وتتبع تطور مساراتها وإبدالاتها الفنية

هـ . التحكم في التخصص من ناحية المصطلحات والمفاهيم والإجراءات.

كلّ هذه المعطيات ساعدتنا في تقديم هذه القراءة حول خاصيتي السرد والزمن في الرواية انطلاقا من المنجز النقدي لسعيد يقطين، أين حاولنا تحديد العلاقة بين السرد والزمن من الناحية الفنية الإبداعية من جهة ومن ناحية القراءة النقدية لهذين المفهومين الأساسيين في الرواية والاجناس السردية من جهة أخرى.

6.خاتمة :

إن المشروع النقدي لسعيد يقطين، في مجال السرديات مشروع طموح، دفع النقد الروائي المغاربي دفعه نوعية بما قدم من إجراءات وآليات في مجال تحليل النصوص الروائية العربية، واستكشاف مواطن الجمال والقوى الفكرية التي تتضمنها باعتبارها مجال تتجمع فيه الرؤى والآراء والأفكار والنوازع.

كما أعطى للنص الروائي والعمل السردي وجودا فعالا في دنيا النقد المعاصر حين بسط إليه سبل التحليل السردي ،والقراءة النقدية الناجعة التي بدأت تتضح معالمها مع بواكر الجهود النقدية لجملة من النقاد الشباب الذين أرادوا التجديد في الأدوات و الأساليب التي من شانها تجاوز المألوف والمتداول ،والولوج إلى المنجز النقدي لمختلف التيارات النقدية في ظل رواج البنيوية والسيميائية والأسلوبية والنصانية وغيرها من الاتجاهات النقدية الحدثية التي برزت شمسها في الغرب ،وسرعان ما استوردها هؤلاء النقاد الشباب وسارعوا والى ترجمتها مستغلين تحكمهم في اللغات الأجنبية واضطلاعهم على الآداب الغربية والمناهج النقدية إلي واكبتها ،ومن هؤلاء الناقد سعيد يقطين الذي سجل حضورا مميزا منذ أول كتاب له في هذا المجال " القراءة والتجربة " الذي أسس من خلاله لمنهج نقدي عربي بمعالم واضحة.

ومن الأدوات السردية التي أعطاها سعيد يقطين اهتماما بارزا في مشرعه هذا خاصية الزمن الروائي وما له من تداعيات في بناء الرواية وقرائتها حيث اعتبره بنية محورية يقوم على أعمدتها العمل السردي عامة والروائي خاصة وهو ما دفع يقطين إلى إعطائه أهمية قصوى من خلال كتابي " تحليل الخطاب الروائي" و " انفتاح النص الروائي " تنظرا وتطبيقا واختار لذلك روايات عربية متنوعة من أقطار عربية مغاربية ومشرقية حتى يعطي للعمل نوعا من المشروعية العلمية وتجذب الاهتمام في كل البلاد العربية وهو ما نجح فيه فعلا حيث تحول في فترة وجيزة إلى علامة مسجلة في النقد الروائي وفي السرديات بشكل عام.

الزمن في نظر سعيد يقطين تيمة سردية روائية بأبعاد متعددة يسير المبدع من خلالها إلى عالمه الإبداعي ويصوغ بفضله أفكاره ويبلور رؤياه الفنية ويوزع على أوتاره الأحداث المشكّلة لعمله السردي هذا.

الزمن أزمنة في نقد سعيد يقطين: زمن الكتابة وزمن القراءة حيث يتسم الاول بالثبات لأنه مرتبط بمن كتب النص الروائي في فترات تطوره وانجازه والثاني متجدد بتجدد القراءات عبر الأزمنة المتجددة.

الزمن يتصل بكل الخصائص الفنية للرواية، فالشخصيات زمنية، والأحداث أزمان، والمكان بمن غير زمن لا وجود له ولا وضوح له وحتى الأسلوب في الكتابة مرتبط بالزمن من خلال الأفعال الموظفة.

الزمن الروائي لا يتسم بالخطية المعهودة التي تسير مع عقارب الساعة بل تخترقها بحسب الحاجة الفنية إما بالاستشراف أو بالاسترجاع أو بالتوقف عند أزمنة معينة تقتضيها الأحداث وتداخلاتها.

النص الروائي حين يربط علاقة مع التراث الفكري الإنساني من خلال التناص والتعالق أثناء النسيج السردي الذي يسعى المبدع تأليفه، نجد الزمن حاضرا بقوة في تلك العملية.

الزمن هو السرد والسرد هو الزمن، والعلاقة بينهما تكامل وتداخل وتجلٍ فني إلى درجة يستحيل الفصل بينهما.

الزمن وجود فلسفي في النص السردي من خلال تلك علاقات التي يشكلها الصراع بين الأفكار النزاعات من جهة، ووجود فني من جهة أخرى من خلال المرونة التي يؤمنها للروائي بما يسمح به من خروقات للاتجاه السائر إلى الأمام فقط وفق صيرورة الحياة .

المراجع:

1. -سعيد يقطين: القراءة والتجربة (حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب)، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 2014 م.
2. -شرف الدين مجدولين: السرد والسرديات في أعمال سعيد يقطين (دراسات، شهادات، حوارات)، شهادة سعيد بن كراد :(سعيد يقطين والسفر في الحكايات).
3. ميخائيل باختين: الخطاب الروائي: تر: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة جمهورية مصر العربية الطبعة1 ،1987م.
4. سعيد يقطين: الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1 ،1997 م.
5. سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (السرد والزمن والصيغة)، المركز الثقافي العربي، ط3، 1997م.

6. سعيد يقطين: الرواية والتراث السردي (من أجل وعي جديد بالتراث)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، سنة 1992.
7. إبراهيم خليل: بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1.
8. أ مندولا: الزمن والرواية، تر: بكر عباس، دار صادر للكتاب، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1997 م.
9. سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2 سنة 2001 م.
10. -عبد الفتاح كيليطو: الحكاية والتأويل (دراسات في السرد العربي)، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء المغرب.
11. بول ريكور: السرد والزمن (الحبكة والسرد التاريخي)، تر: سعيد الغانمي وفلاح رحيم /ج1، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط:1، سنة 2006 م.
12. مراد عبد الرحمان مبروك: بناء الزمن في الرواية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جمهورية مصر العربية ط 1988م.

الحواشي:

[1] . سعيد يقطين: القراءة والتجربة (حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب) ،رؤية للنشر و التوزيع ،القاهرة ،جمهورية مصر العربية ، ط 2014 ، ص: 16

[2] د . شرف الدين مجدولين: السرد والسرديات في أعمال سعيد يقطين (دراسات ،شهادات ،حوارات)،شهادة سعيد بن كراد :(سعيد يقطين والسفر في الحكايات) ص:131

[3] ميخائيل باختين : الخطاب الروائي : تر: محمد برادة ،دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ،القاهرة جمهورية مصر العربية الطبعة الأولى ،ص :7

[4] سعيد يقطين : الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي) ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،المغرب ،ط 1 ،1997 ، ص : 19

[5] سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (السرد والزمن والصيغة)، ص61.

[6] نفسه ص:62.

[7] سعيد يقطين: الرواية والتراث السردي (من أجل وعي جديد بالتراث)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، سنة 1992، ص: 7 / 8

[8] السرد والسرديات في أعمال سعيد يقطين م سابق ص: 41

[9] إبراهيم خليل : بنية النص الروائي ،منشورات الاختلاف ،الجزائر،ط1 ،ص:97

[10] أ مندولا: الزمن والرواية ،تر: بكر عباس ،دار صادر للكتاب ،بيروت ،لبنان ،ط 1 ،سنة 1997ص: 20

[11] سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي م س ص:68

[12] م س، ص نفسها

[13] م ن ،ص: 69

[14] سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2 سنة 2001، ص:42

[15] عبد الفتاح كيليطو : الحكاية والتأويل(دراسات في السرد العربي) ،دار توبقال للنشر والتوزيع ،الدار البيضاء المغرب ،ص18

[16] سعيد يقطين : القراءة والتجربة ،م س ،ص : 261

[17] بول ريكور: السرد والزمن (الحبكة والسرد التاريخي) ، تر: سعيد الغانمي وفلاح رحيم /ج1 ،دار الكتاب الجديد ،بيروت ،لبنان ،ط:1 ، سنة 2006 ،ص :20

[18] مراد عبد الرحمان مبروك: بناء الزمن في الرواية المعاصرة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،جمهورية مصر العربية ط 1988 ،ص:177

[19] سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي ،م س ،ص70

[20] المرجع نفسه:ص70